journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X

ر ت م د: 1112-4040، ر ت م د إ: 2588-X204

المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 127-139 تاريخ النشر: 04-06-2025

Volume: 39 N°: 01 Year: 2025 pages: 127-139 Date of Publication: 04-06-2025

الأبعاد السياحية للمكان في الشعر الجزائري الحديث

The touristic dimensions of the place in the modern Algerian poetry

1ـطالب الدكتوراه . سليم صيفي
salim-sifi@univ-eloued.dz

2ـالأستاذة الدكتورة . نوال بومعزة
naoual-boumaza@univ-eloued.dz

مخبر بحوث في الادب الجزائري ونقده – جامعة الوادي–

تاريخ الإرسال: 2024/12/05 تاريخ القبول: 2025/05/28

الملخـــص:

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان دور المكان في الترويج السياحي عن طريق الاستعانة بالأدب عامة، والشعر خاصة، يتّسم المكان بالتعدّد والتجدّد، وهو عنصر فاعل في النصوص الأدبية، التي تحمل في طياتها أبعادا مختلفة منها الخطابات السياحية غير المباشرة؛ إذ تكمن غاية الأدب السياحي في طريقة توظيف المكان وإخراجه في أبهى صورة للتأثير على المتلقي.

لهذا تسعى هذه الدراسة من خلال الغوص في نماذج مختارة من الشعر الجزائري الحديث إلى تسليط الضوء على الجواهر المادية والقيمية لتلك الأبعاد في جانبها السياحي ؛ وقد سلك الشعراء الجزائريون أمثال أحمد سحنون، ومفدي زكريا، ومحمد العيد آل خليفة، هدا المسلك، حيث سعوا إلى تقديم لوحة شعرية متفرّدة تعكس جمال وسحر الطبيعة الجزائرية. فما هي الأبعاد السياحية في شعر هؤلاء؟ أين يتجسّد السياحي في قصائدهم؟ وهل تتحقق السياحة الأدبية المتخيّلة في تلك النصوص؟ وما السياقات التي ساعدت هؤلاء الشعراء لتحقيق الهدفين الوطني والسياحي.

الكلمات المفتاحية: المكان؛ الأبعاد؛ السياحة؛ الأدب؛ الشعر الجزائري الحديث.

Abstract

This study aims at showing the role of place in promoting for tourism using literature in general, and poetry in particular. In this regard, the place is characterized with multiplicity and innovation, and is a vital element in the literary texts that imply different dimensions, including the indirect literary discourses. The importance of the touristic literature lies within the method of employing the place and giving it the best shape to influence the recipient.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X

ر ت م د: 1112-4040، ر ت م د إ: 2588-X204

المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 127-139 تاريخ النشر: 04-06-2025

Volume: 39 N°: 01 Year: 2025 pages: 127-139 Date of Publication: 04-06-2025

Thus, the study delves into chosen models from the Algerian contemporary poetry to shed light on the material and valuable touristic aspects of these dimensions. The Algerian poets, such as Ahmed Sahnoun, MofdiZakaria, and Mohamed al Aid al Khalifa, provided unique poetic pieces that reflect the beauty of the Algerian nature. Based on what was said, we raise the following questions, what are the touristic dimensions in the works of these poets? Where does the touristic manifest in their poems? Is the imagined literary tourism achieved in their texts? What are the contexts that helped these poets achieve the national and touristic aims

Keywords: the place; the dimensions; the tourism; the literature; the modern Algerian poetry.

المقدمـــة:

يمضي مسار الأدب ويتطوّر حسب حركية الحياة الإنسانية، فالأدب السياحي مرحلة انتقالية من الأدب في صورته الجمالية البحتة إلى الأدب في علاقته بملابسات إنتاجه الواقعية، فهو دائما في حالة مواكبة بسبب العلاقة الترابطية بينهما، فالفرد ينتج في سياق اجتماعي يؤثر بالضرورة على ذلك الإنتاج، ويتطور حسب معطياته، ومن بين ثمرات التطور الإنساني؛ ظهور الأدب بثوب جديد، اصطلح عليه الأدب السياحي مواكبة للانتقال الإيجابي، واعتبارا لتجليه في «وصف مباشر، قائم بذاته، يستقل عن البناء الروائي أو الشعر الوصفي، ويتميز بالتأنق في صوغ العبارات، مستهدفا تجميل الموصوف وتحسينه لراغبي السفر أو الباحثين عن الاستمتاع» (بدران، 1993، صفحة 13)، فهذا النوع من الأدب يضع نصب عينيه عنصرين مهمين يختلفان بالضرورة عن الأدب السائد قبل ذاك، يتمثلان في:

- تجميل الموصوف في النص
- استهداف المتلقي والتأثير فيه، لزيارة المكان مثلا.

وعلى هذا الأساس، يمكن اعتبار أن رسالة الأدب السياحي نابعة من رسالة الأدب، إذ يكمن جوهره في عدّة بنى ثقافية وترفيهية وتواصلية، تنطلق من النصية للوصول إلى التأثيرية المبنية على جودة العبارات وصدق العواطف.

ومن أهم مرتكزات الأدب السياحي، الفضاء المكاني، فالشاعر الجزائري يسعى في الكثير من الأحيان إلى تناول المكان من منطلق الشوق والحنين بفعل الغربة أو المنفى، وفي مستوى آخر يتوغل في حيثياته وثناياه بدافع الإعجاب، أو إبراز الخصوصيات الجمالية أملا في استمالة المتلقي، الذي هو موضوع الدراسة؛ فقد ألقى المكان بظلاله بلا شك على المتون الشعرية الجزائرية الحديثة، التي أدت بالضرورة إلى ثراء ونماء الفضاء الدلالي في النصوص الشعرية الجزائرية، التي اتخذت من المكان تيمة مركزية من تيمات النص الشعري السياحي، وهذا ما يدفعنا

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112-4040، ر ت م د إ: 2588-X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 127-139 تاريخ النشر: 04-06-2025
Volume: 39 N°: 01 Year: 2025 pages: 127-139 Date of Publication: 04-06-2025

في هذا المقام إلى طرح الإشكالية الآتية: إلى أي مدى يمكن للنص الشعر الجزائري سبر أغوار السياحة عن طريق البنية المكانية؟ وكيف تجلى المكان في القصيدة الجزائرية الحديثة؟ وما العلاقة بين الشاعر وما يفرزه النص من معطيات سياحية تؤثر بالضرورة في عملية الإنتاج والتلقي؟

ووفقا لهذا الطرح فقد تم اعتماد المنهجين الموضوعاتي والأسلوبي بوصفهما قادرين على إبراز العلاقة بين الشعر والسياحة في طابعها المكاني في الجزائر كتيمة من تيمات النص الشعري الجزائري الحديث الذي يسلط الضوء على مختلف الأبعاد التي تساهم في تقديم تلك البطاقة التعريفية الترويجية للجزائر .

1– الشاعر الجزائري وارتباطه بالمكان:

يستند الشعر إلى جملة من العناصر والمكونات، وينسج شبكة من العلاقات منها ما يربطه بالمكان، فالشاعر ينطلق من المكان الخاص بمرحلة زمنية معينة، ليغوص فيها أو لينفتح على فضاءات رحبة أساسها اللغة، فالشعر: «يقدم بناء فنيا للمكان الزماني، ويعتمد على التشكيل المركب الذي يتم وفق قوانين تفاعلاته الخاصة، يؤدي إلى الخروج من دائرة الزمن المغلق إلى نهايات مفتوحة، تدفع الحركة مع القصيدة كي تتنامى، وتستقر، وتنتقل من مرحلة إلى مرحلة تالية، ويتم هذا البناء بواسطة اللغة التي يعمل الشعراء على تخصيبها، وبث حركية الإبداع في تراكيبها» (عثمان، 1988، صفحة 72)، فالمكان ليس مجرد هيكل، بل هو روح بتمثله وتأريخه وإظهاره لشتى المراحل الزمنية التي تعتبر من أهم مقومات السياحة، فالمكان والأحداث التاريخية وغيرها من البنى تعمل على إبراز جانب سياحي يروج له الشاعر ضمنيا أو تصريحيا عن طريق ذكر تلك الأماكن بمسمياتها مثلما الشأن في كتابات الشاعر "محمد العيد آل خليفة" في قصيدته الموسومة ب: "اًطلال: وقفة على تيمقاد"، التي يتوغل فيها في استنطاق هذه المدينة الأثرية الرومانية الضاربة في أعماق التاريخ، ويحاور ما تبقى منها، إذ يقول:

أُردِّدُ فِي آثارِهَا طَرفَ عِبْرَةٍ لَعَلِّيَ مِنْهَا أَنْ أَعُودَ بِطَائِلِ
وأَسْأَلُهَا مُسْتَفْهِمًا عَنْ عُهُودِهَا وأَنَّى لَهَا أَنْ تَسْتَجِيبَ لِسَائِلِ
وجَدْتُ مَجَالاً لادِّكارٍ وعِبرَةٍ فَجُلْتُ بِرَأيٍ صائِبٍ غيْرِ فائِلِ (خليفة، 2010، صفحة 218)

ففي هذه الأبيات الشعرية يسترجع الشاعر الماضي المشرق لتيمقاد، وعمرانها البهي، وحضارتها الراسخة في التاريخ، كما يستوعب الشعر تلك الحمولة الراجحة المتضمنة للانتماء المكاني، والذي ينفتح بدوره على عدة مستويات متنوعة بتنوع ثيمة القصيدة أو غرضها الذي ينطلق من الرغبة الجامحة في التعريف بمعطيات المكان بهدف

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112-4040، ر ت م د إ: 2588-X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 127-139 تاريخ النشر: 04-06-2025
Volume: 39 N°: 01 Year: 2025 pages: 127-139 Date of Publication: 04-06-2025

التأثير في المتلقي، وإقناعه إقناعا سياحيا من شأنه أن يساهم في تحقيق الفرجة والمنفعة الأدبية، واستدراك دورها في خدمة الواقع ليحقق الشعر والشاعر انتماءه لذلك المكان، ورغبته الجامحة في تحسين أوضاعه التي تتأسس على خدمة الفرد والمجتمع.

يربط الشاعر الجزائري أحمد سحنون الوطن بالفرح في قصيدة: " وطني– من حصاد السجن"

أَنَا لا أَرْضَى حَيَاتِي مُبْعَدًا. عَنْ بِلادِي أَنَا لا أَسْلو حِمَايَا!

فَإِذَا لَمْ أَلْقَ الرّجْعى وَلَمْ تَرَهُ عَيْنِي فَيَا طُول أَسَايَا ! (سحنون، 2007، صفحة 117)

ففي هذا المقام الشعري يفضل الشاعر أحمد سحنون العيش في وطنه، على غيره من الأوطان باعتباره أبهج وأسعد منها، وهذا من الخصائص التي تساهم بقدر كبير في إقناع الآخر المحلي والعالمي على المكوث في الجزائر خدمة لمختلف مجالاتها التي يلعب الشعر السيادي دورا رياديا فيها، خدم الأسلوب الإنشائي فكرة المقطع وجسّد بُعدها الذاتي العميق خاصة رفض الشاعر الابتعاد عن الوطن مهما كانت الظروف، وحرصه على ابراز محبته الكبيرة له وشعوره بالحزن كلما ابتعد عنه، فهو يعتبر بالنسبة له هو الفرح والحياة، لأنه أقر بالإنتماء لهذا الوطن، وملازمته كأفضل وجهة سياحية إفريقية.

وفي نفس المسار، سار الشاعر مفدي زكريا؛ إذ راح يربط الوطن بالفرح والأمان، حين قال في قصيدة "من يشتري الخلد؟ فإن الله بائعه!":

وكُلُّ شَيْءٍ "بِسِرْتَا" اليوْمَ مُغْتَبِطٌ وكُلُّ شَيْءٍ "بِسِرْتَا" اليَوْمَمَحْسُودُ (زكريا، اللهيب المقدس، 2007، صفحة 226)

ذكر الشاعر جمال المدينة الجزائرية، "سيرتا" بقسنطينة، فهي منبع الجمال الشرقي في الجزائر، مستنطقة لأعماق أهاليها التي فاضت بالبهجة والرضا، فقسنطينة منطقة تاريخية ساهمت بقدر كبير في ترويج السياحة التاريخية في الجزائر، والشاعر مفدي زكريا كعادته يشكل في كتاباته رباطا وثيقا بالواقع، دون إغفال طابع التشكيل اللغوي المؤثر، نفس الشيء يخص عديد الكتاب الجزائريين الذين ركزوا على واقع مجتمعهم، وإبراز آلام الناس وآمالهم، بلغة أدبية تجمع بين المتعة والمنفعة، هذا ما يراه الناقد جمال بدران في قوله: «الأدب مذاهب ومشارب، ورسالته موجهة إلى قرائه وعشاقه عامة، دون تفريق بين قارئ أدب للاستمتاع، أو آخر للاستنفاع، والأدب تثقيف وإمتاع أيضا وترفيه، أما كون التثقيف يأتي قبل أو بعد الإمتاع والترفيه، فهو أمر يتوقف على المتلقي ومشربه. ولو لم يكن الأدب وأربابه

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112-4040، ر ت م د إ: 2588-X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 127-139 تاريخ النشر: 04-06-2025
Volume: 39 N°: 01 Year: 2025 pages: 127-139 Date of Publication: 04-06-2025

مسايرين لتطورات الأجيال واحتياجاتهم..لاندثر مع أصحابه، وصاروا ذكريات أو أطلالا يطل عليها الأجيال المعاصرة الذين صاروا يسمون سياحا» (بدران، 1993، صفحة 31)، فالعلاقة بين الأدب والواقع علاقة وطيدة تمد جذورها إلى الرغبة في الترويج السياحي رغبة في خدمة هذا الواقع خاصة الواقع ما بعد الاستعماري الذي تدهورت بنيته جراء هذا التدخل الغربي، فلقطاع السياحة دور رائد في سيرورة الأمم وتطورها؛ إذ يساهم بشكل مباشر في صنع العملية التواصلية بين الأفراد من جهة، ويفتح باب التبادلات الجادة والتفاعلات الإيجابية بين المجتمعات المختلفة، نظرا لعلاقته العميقة بحركية الشعوب في المستويات الثقافية والتاريخية والاقتصادية.

2– تمظهرات السياحي في شعر محمد العيد آل خليفة:

إن السياحة ليست مجالا للترفيه والمتعة، بل هي نافذة مهمة للإطلالة على ثقافة الشعوب وسلوكاتهم، وبوابة للتواصل والتفاعل في سبيل مصلحة الجميع، والوصول إلى التقدم والازدهار، إذ يرى نقولا ميشال فتوش أن المجال السياحي يقوي أواصر التآلف والتعاطف بين الإنسان وأخيه الإنسان في قوله: «سياحة القرن الواحد والعشرين هدفها الإنسان المعطي والإنسان المتلقي، أي الإنسان في كامل تألقه مشبعا بأجواء السلام والمحبة والهناء» (فتوش، 1999، صفحة 174)، وعلى هذا الأساس، تتفرع المكونات السياحية؛ منها ماهو مادي مثل الأمكنة والأعلام الهندسية، ومنها ماهو غير مادي مثل بعض العادات والقيم، والشاعر محمد العيد آل خليفة تنوعت أساليب تناول التمظهرات السياحية في شعره، كما تعددت مكونات السياحي في قصائده والتي تزامنت مع نشاط جمعية العلماء المسلمين، وفترة الثورة. التحريرية وكذا استقلال الجزائر، منها:

أ– تقديم المدينة الجزائرية:

يختلف كل شاعر عن الآخر في تصوير المكان بين الريف والمدينة، بتقديم تلك الإشارات المختلفة الدالة على الأبعاد العميقة في النص الأدبي، واعتبار المدينة فضاء يحتضن مجموعات بشرية عديدة، تختلف في سلوكاتها وعاداتها في كثير من الأحيان، فالشاعر محمد العيد آل خليفة يصور مدينة الأصنام "الشلف حاليا"، في حالة الخراب مبديا أسفه وتأثره بالزلزال المدمر الذي ضربها يوم 9 سبتمبر من عام 1954؛ بوصفهما معرقلا من معرقلات السياحة المحلية، إذ يقول في قصيدته المطولة والمعنونة ب: (زلزلة الأصنام)

أسَفِي عَلَى الأصْنامِ رَجَّتْ دَوْرَهَا تَحْتَ الظَّلَامِ وَزَلْزَلَتْ زِلزالَهَا
مَارجَهَا الزِّلْزَالُ حَتَّى رَدَّهَا بَعْدَ الْأَنَاقَةِ دِمْنَةً وأحَالَهَا

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 127–139 تاريخ النشر: 04–06–2025
Volume: 39 N°: 01 Year: 2025 pages: 127-139 Date of Publication: 04-06-2025

تَجْتَاحُ أَرْوَاحُ الشَّقَاءِ دِيَارَهَا وَتَجُوسُ أَشْبَاحُ الْفَنَاءِ خِلَالَهَا
تَقِفُ الوُفُودُ بِهَا صَوَامِت تَجْتلي آثَارَهَا وَتَرَى بِهَا أَطْلَالَهَا (خليفة، 2010، صفحة 66)

يعتمد الشاعر في هذا المقام على معجم الحياة والهناء بورود كلمة واحدة تبدو يتيمة في هذا المقطع هي الأناقة، والتي تحيلنا على عالم الجمال والحياة البهية الهنية المتأثرة بهذا الزلزال الذي حول الواقع إلى راهن مأساوي يستنجد بالأدب لخدمته وترويجه.

تغنى الشاعر في مقام آخر في قصيدته بعنوان: "وصف فوارة" ببهاء عين فوارة في مدينة باتنة، وطغى في القصيدة أسلوب الوصف بشكل جلي بهي

يَا حَبّذا عَيْنٌ تَفُورْ حَفَتْ بِحَافَتِها الزّهُورْ
بَاتَتْ " بِبَاتِنَةَ " تُفِي ضُ عَلَى سَرائِرنا السُّرُورْ
فِي رَوْضة غَنّاءَ قَدْ غَنّتْ بِسَاحَتِها الطّيُورْ
فِي حوضِها ماءٌ يَجُو لُ كَأنّه فلكٌ يَدورْ
وَتَرَى الفَقاقِعَ كَالكَوَا كِبِ فِيهِ تَطْلُعُ أو تَغورُ (خليفة، 2010، صفحة 51)

يعتبر مطلع القصيدة بمثابة بطاقة تعريفية لهذه العين، فالماء جرى متدفقا والأزهار البهية محيطة بها، كما تجلى في المقطع فضاء الابتهاج بكل قوة عبر كلمات رسمت الأثر الإيجابي الذي تركته العين في نفسية الكاتب، مثل (السرور، غنت، الطيور والفقاقع)، وعلى هذا الأساس، تجعلنا كل التشبيهات الموجودة في المقطع نسبح بكل نشوة في بحر الطبيعة الخلاب من خلال طغيان المعجم الطبيعي على تركيبية التشبيه، فالماء كالفلك في حالة دوران، والفقاقع كالكواكب في ظهورها وفي اختفائها، يبرز لنا المقطع جانبا مهما من حياة الإنسان، وهو الارتباط الوثيق بالطبيعة التي تعيد له التوازن النفسي من خلال جمالها وتأثيرها القوي على وجدانه في سبيل الإقبال على الحياة بكل إيجابية ونشاط.

يواصل الشاعر مساره في القصيدة بنفس الوتيرة، ذاكرا محاسن المكان المطرز بالبصمة الطبيعية الخالصة الصافية، إذ خاطب هذا النبع المائي متأثرا قائلا:

يَا عَيْنُ جَدّدْتِ النّشَا. طَ لَنا وبدّدْتِ الفُتُورْ
فَلأَنْتِ أَجْمَل قينةٍ غَنّتْ فَأطْرَبتْ الحُضُورْ
هَذَا خَرِيرُكِ يَسْتَفِ زُّ بِلَحْنِه أهْلَ القُبُورْ

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112-4040، ر ت م د إ: 2588-X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 127-139 تاريخ النشر: 04-06-2025
Volume: 39 N°: 01 Year: 2025 pages: 127-139 Date of Publication: 04-06-2025

صَلّتْ مِيَاهُك لِلإلاَ هِ صَلاَةَ إشْراقٍ وَنُورْ
فَكَأنّها دَاوودُ فِي مِحرابِهِ يَتْلُو الزّبُورْ (خليفة، 2010، صفحة 52)

ويتجلى في خطاب الشاعر العمق التأثري بالمكان، فالعين قتلت فيه روح الجمود والكسل وأحيت فيه روح الحركة والحيوية، لينتقل الشاعر مباشرة إلى أسلوب التفضيل بجعل النبع المائي نبعا فريدا وحيدا، يمتع ويسعد بغنائه من يستمع إليه، وحتى الموتى يتأثرون وقد يقصد الشاعر بهم أصحاب القلوب القاسية، والعقول المتحجرة الذين لا يستمعون لكنهم سيستمعون حتما، ويتأثرون بخريره بحسب أسلوب الشاعر التي يطغى عليه نوع من المجاز الخادم للفكرة، نظرا لتأثره الشديد بالمكان وسحره الجذاب الخلاب.

ب– التعريف بالعادات والقيم الجزائرية المتوارثة:

تحتل العادات والمعتقدات مكانة مميزة في شتى بقاع المعمورة، فلكل أمة بطاقتها الخاصة الحاضنة لتلك المرآة العاكسة لمختلف السلوكات وطرق العيش، إذ يرى العالم الأنثروبولوجي إميل دوركايم، أن: «أن العادات والتقاليد الاجتماعية مفروضة ملزمة، وفرضها والتزام الأفراد بها يشعرهم بالراحة، ويفسر إلزامية الفرد بالقيام بها، فالعادات الاجتماعية هي العقل الجمعي» (العال، 2018، صفحة 21)، إذ تنبثق من تمسك الأفراد بالعادات تلك الروح الجماعية، واللحمة المتينة التي تجعلهم متضامنين متحابين، ما يشعرهم بالراحة والهناء في ظل التماسك المجتمعي والانسجام بين كل أطياف المجتمع، لذلك ركز الشاعر محمد العيد على عديد القيم، خاصة ما تعلق بحب الوطن والتضحية من أجله، وكذا إبراز روح الانتماء إلى الأمة الإسلامية، والدفاع عن قضاياها، وهذا ما يبرز في قصيدته الموسومة ب "بلادي":

بِلادي فِدَاكِ الرّوح واللهُ عَالِمُ عَلَيْكِ سَلاَمٌ خَالِصُ القَصْدِ سَالِمُ
يُحَيّيكِ مشْتاقٌ عَلَى القُرْبِ مُشْفِقٌ مِن البُعْدِ مَشْغُوفٌ بِحُبّك هَائِمُ (خليفة، 2010، صفحة 128)

فالشاعر في هذا المقام يقدم مقاما اعتزازيا ببلاده الجزائر التي يفتخر بها في مصاف البلدان الأخرى، فالجزائر صامدة في ظل مختلف النكبات التي مرت على راهنها خاصة بعد الاستعمار، فخلفت العديد من الآثار التاريخية التي تمثل مرتكزا أساسيا من مرتكزات السياحة المحلية.

ج– فرجة البحر:

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 127–139 تاريخ النشر: 04–06–2025
Volume: 39 N°: 01 Year: 2025 pages: 127-139 Date of Publication: 04-06-2025

لقد ازداد الاهتمام بعالم البحر حديثا، وأصبحت النظرة أكثر إشراقه في المخيال الجمعي، نظرا لتطور الإنسان واتساع نسقه الاستكشافي؛ وصفتا العمق والأتساع من صفات البحر المؤثرة في النفس البشرية، ما يجعل هذا الفضاء الجغرافي الساحر، والمذكور بأعاجيبه وأساطيره في شتى الكتابات الأدبية والعلمية يحتل مقاما خاصا في حياة الإنسان إذ برز التوغل في أعماق البحر وتسليط الضوء على بعض أسراره، كما أصبح هذا الفضاء الفتان قبلة سياحية ضرورية لكل فرد من أفراد المجتمع، أما الشعراء على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم، فلا تخلوا أعمالهم الأدبية من احتضان سحر البحر وسنفونياته الفريدة، فهو فضاء مساعد على الإبداع الحقيقي المفتوح على مجالات العمق، والخيال والرجاء والسعة، لأن استخدام كلمة بحر في قصيدة ما، يعطيها مدلولها الخاص المتوافق مع بنى هذا العمل الفني وسياقاته.

جاء معنى البحر في مطلع القصيدة الرائية المطولة " يا بحر" لمحمد العيد آل خليفة بمعنى الجمال والإبهار في قوله:

يَا بَحْرُ أَفْديكَ بَحْرًا مَلَكْتَ قَلْبِيَ سِحْرًا
بَهَرْتَنِي بِصُنُوف. مِن الْمَفاتِنِ كُبْرَى
يا بَحْرُ أَنْتَ أَنيسِي إِنْ ضِقْتُ بِالْهَمِّ صَدْرًا
حَسْبِي جِوارُكَ إِنِّي أَرى جِوَارَكَ ذُخْرًا (خليفة، 2010، صفحة 62)

فالبحر بمناظره وجواهره فتن الشاعر، وسيطر على أعماقه، فأصبح الشاعر متعلّقا بهذا البحر وعالمه السحري كوجهة سياحية يقصدها السائح قبل مختلف الأماكن الأخرى في الجزائر وخارجها، فهو يمارس عملية الجذب والإبهار، مما يحيلنا إلى إدراك العلاقة الوطيدة الموجودة بين الشِّعر والبحر، يوجه الانتباه نحو الكد والجد في خدمة السياحة المحلية، ففي مختلف حججه إضمار مقصود يتجلى في ضرورة الاتحاد من أجل تطوير المجتمع من خلال تعاضد أفراده على هدف واحد سامي يتمثل في التعريف بالسياحة المحلية في مختلف المحافل الدولية والملتقيات والندوات وغيرها من الإسهامات الملحة في سبيل الارتقاء بمجال السياحة في الجزائر؛ فالسياحة هي: «أمل وإيمان وحب ورجاء، قبل أن تكون صناعة وتجارة ورواجا وأسواق. الصناعة تتميز بموضوع، محصور في إنتاج وذوق، ومصلحة وخدمة. السياحة هي غاية هذا الموضوع، الذوق والمصلحة والخدمة. التجارة، تعامل وثقة وأرباح. والسياحة هي الموضوع الصميم، وهي الغاية لهذا التعامل والثقة والأرباح» (فتوش، 1999، صفحة 14)، فالتعامل مع موضوع السياحة يجب أن يكون تعاملا جادا يليق بأهمية هذا الموضوع لاسيما في البلدان النامية التي باتت الحاجة فيها ملحة للانفتاح على

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112-4040، ر ت م د إ: 2588-X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 127-139 تاريخ النشر: 04-06-2025
Volume: 39 N°: 01 Year: 2025 pages: 127-139 Date of Publication: 04-06-2025

الآخر وتقبله كطرف هام في سيرورة النشاطات المختلفة في المجتمع التي تحقق فائضا اقتصاديا يعود بأرباح طائلة واستثمارات مستحدثة في هذه الدول من أجل تحقيق الرفاهية والازدهار.

3– تمظهرات السياحي في شعر أحمد سحنون:

تجلت السياحة عند الشاعر أحمد سحنون وفق عدة معايير منها :

ا– الترحيب بالزائر:

أولى الشاعر أحمد سحنون لهذه القيمة الجوهرية عناية فائقة في شعره، فالأدب السياحي: «أدب يفتح صفحاته للتَّرحيب والتَّرغيب، ويطلق الأقدام إلى كل موطِّئ ممهد أليف كان أم غريب» (بدران، 1993، صفحة 9)، إذ نجد حضور سمات الفرح والترحيب والاحتفاء بالزائرين قويا على صعيدي: التشكيل والرؤيا، كما يتجلى تباين مستويات الشخصيات المحتفى بها في عديد الانتماءات والاهتمامات، الفكرية منها والاجتماعية، إذ يقول أحمد سحنون في قصيدة " يابنات النيل!"، ترحيبا بالفرقة القومية المصرية للتمثيل التي زارت الجزائر سنة 1339 للهجرة:

كُلُّ قَلْبٍ لِلِقاكمْ نَابضٌ! هَزَّهُ الشَّوْقُ إِلَى أَوْطانِكُمْ!
قَدْ رَعَيْتُمْ حَقَّ إِخْوانٍ لَكُمْ! وَتَذَكَّرْتُمْ هَوَى جيرَانِكُمْ!
أَبْلِغوا إِعْجابَنَا مِصْرَ بِمَا! بَلَغَتْ فِي الْفَنِّ مِنْ إِحْسانِكُمْ! (سحنون، 2007، صفحة 41)

يفتتح الشاعر خطابه الشعري بصيغة العموم المتمثل في الشعب الجزائري المبتهج بقدوم فرقة التمثيل المصرية في صدر البيت الأول من المقطع: "كل قلب للقاكم نابض"، بعد ذلك يأتي دور نسق الثناء على فضل الفرقة وعلو مقامها، وفي البيت الثالث رسالة إلى الفرقة لتبليغها إلى الشعب المصري؛ مفادها الإعجاب بالمستوى الفني الرائد في مصر بصفة عامة وجودة الإبداع المقدم من طرف الفرقة بصفة خاصة، وهذا من أهم بوادر السياحة التي تفتح باب التلاقح بين مختلف المجتمعات، إذ من خلال هذا الترابط الوثيق تبرز العلاقة الودية بين الشعوب العربي ما يخدم الفكر والسياحة والثقافة وغيرها.

ب– جمال الطبيعة الجزائرية:

يتباين سحر الطبيعة في الجزائر بين الصحراء والبحر والجبال المترامية الأطراف كمنطقة الأوراس، والأطلس البليدي، والشاعر أحمد سحنون يخوض في خطابه السياحي، متجولا بين هذه المقومات، كاشفا كنوز البيئة الجزائرية بنظرة خاصة من شاعر وطني متشبع بالثقافة العربية والإسلامية.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 127–139 تاريخ النشر: 2025–06–04
Volume: 39 N°: 01 Year: 2025 pages: 127-139 Date of Publication: 04-06-2025

في قصيدة " أيها الطود" يخاطب أحمد سحنون جبل الضاية العالي، والواقع في بلدية الضاية ولاية سيدي بلعباس، من وراء قضبان المحتل الفرنسي في معتقل "بوسوي"، إبان حرب التحرير، فيقول:

أَيُّهَا الوَاقِفُ الْمُطِلُّ عَلَى الدُّنْيَا بِرَأْسٍ مُتوّجٍ بِالإِبَاءِ!
يَتَحَدَّى الرَّدى وَيَهْزَأُ بِالإِعْصَارِ وَالْعاصِفَاتِ وَالأَنْوَاءِ! (سحنون، 2007، صفحة 54)

فالجبل بثباته وبهائه يبقى مقاوما لشتى الظواهر الطبيعية القاسية، صامدا بشكله وتشكيله في وجه غضب الطبيعة البارز في توظيف كلمات (الإعصار، العاصفات، الأنواء).

في زاوية أخرى يتغنى أحمد سحنون بحب الجزائر وما تزخر به من كنوز سياحية طبيعية، في قصيدة "يا بلادي" قائلا:

وَالشّذَا فِي الزُّهُورِ وَالْحُبُّ فِي الأَحْشاءِ وَالْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَطْوَادِ
فَإِذَا ما بَدَا الصَّبَاحُ تَجَلَّتْ أُغْنِيَاتٌ سِحْرِيَّةُ الإِنْشَادِ !
وَإِذَا مَا دَجَا الظَّلَامُ تَرَاءَتْ فِي طُيُوفٍ تَحُومُ حَوْلَ وِسَادِي (سحنون، 2007، صفحة 92)

تشرق الطبيعة في أحسن صورة بفضل إدراج كلمات: (الشذا، الزهور، الأطواد، الصباح، الظلام)، ما يجعل المتلقي يعيش التنوع الثري في الطبيعة الجزائرية من جهة، والتنقل بين الساعات وتفاصيلها الماتعة في حضرة البهاء والأمل من جهة أخرى.

4– المكان الصحراوي وبعده السياحي في شعر مفدي زكريا:

للمكان حضور متميز ودور لافت في حياة الإنسان، وقد تغيرت النظرة في تناول هذه التيمة بتغيّر الأمكنة وتطورها عبر العصور، ففي مجال الشعر يفرض المكان نفسه كعنصر من عناصر البناء الفني للقصيدة الحديثة، فلكل شاعر طريقته في توظيف المكان، وتوشيح العمل الإبداعي بتلك الأبعاد والرموز من منطلق مكاني بحت، كوْن: «المكان الشعري يعيد خلق صورة مكان الألفة ويزيد من سطوعها وتعميقها حد انفصال الشاعر نفسه عن مكان القصيدة الشعرية» (علي، 1998، صفحة 126)، أما من زاوية النسق الجغرافي تتجلى بقوة ثلاثية: (البحر، الجبال، الصحراء)، ونحن ننطلق من هذه الأخيرة، كونها "ليست فضاء ومكانا إيكولوجيا خاليا من كل الدلالات والمفردات والمرتبط بالثقافة والتاريخ وعلم الأجناس، المرتبط بحياة الجماعات البشرية التي تعيش فيه، بل هي فضاء مليء بالرموز التي تولد رؤى فكرية خاصة بها." (محمد، 2014، صفحة 29)

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112-4040، ر ت م د إ: 2588-X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 127-139 تاريخ النشر: 04-06-2025
Volume: 39 N°: 01 Year: 2025 pages: 127-139 Date of Publication: 04-06-2025

وعلى هذا الأساس، فقد بصم مفدي زكريا بصمته الخالدة في مسار الشعر الجزائري عامة، والثوري خاصة، وكان للمكان الصحراوي الحضور المتميز، والتأبير المشرق في شعره من حيث التشكيل والرؤيا.

تتنوع الأمكنة وتأخذ مسمياتها ومضامينها حسب شبكة العلاقات التي تربطها بالإنسان، فهناك المكان الاجتماعي المرتبط بالمجتمع مثلا، وهناك المكان الطبيعي ، وكذا المكان النفسي، فقد تعدد توظيف المكان الطبيعي الصحراوي في شعر مفدي زكريا على عدة مستويات ، أبرزها الجمالية والتاريخية، ومقاومة الاستعمار الفرنسي، فمن من أجود ما قيل في سحر الصحراء الجزائرية مقطع من إلياذة الجزائر ، نقرأ في مطلعه :

أَلَا..مَا لِهذَا الحِسَابِ ..وَمَالِي؟ وَصَحْرَاؤُنَا.. نَبْعُ هَذَا الْجَمَالِ (زكريا، إلياذة الجزائر، 1987، صفحة 36)

جسّد الشاعر بعد هذا البيت الشعري مباشرة رمزية التاريخ المقدّس، والجذور الضاربة في العمق:

هُنا مَهْبِطُ الْوَحْيِ في الكائِنَا تِ، حِيَالَ النّخيلِ...وبين الرّمَالِ
وَمَهْدُ الرّسَالاتِ لِلْعَالمين، وَنُورُ الْهُدَى . وَمَصَبُّ الْكَمَالِ
هُنَا الْعَبْقَرِيَّاتُ وَالْمُعْجِزا تُ وَصَرْحُ الشُّمُوخِ.وَعَرْشُ الجَلالِ (زكريا، إلياذة الجزائر، 1987، صفحة 36)

تتجلى بعض الصفات والقيم في هذا المكان الصحراوي مثل: (الصفو، الصدق، الصبر)، فللمكان: «أهمية متزايدة في الواقع الإنساني، فهو الذي يمد حياتنا بعلاقات بنيوية تمثل الواقع الذي نعيش فيه ويعطي للأشياء خصوصية تميزها من غيرها وتسمها بالفرادة، فالمكان ليس بيئة عاش فيها الإنسان فحسب، بل عنصرا ساعد في بناء شخصيته وطبعها بـــأطر تشكلاته وحدود معطياته» (بدران، 1993، صفحة 13)؛ فقد جعل مفدي زكريا الطبيعة حيّة حيوية أعطاها في كثير من الأحيان صفات الكائن البشري الثرية بالحركية مثل التعابير التالية: "همس الرمال" ، " النسمات العذاب يُوَقّعْن"، و" وَجَنات النخيل الجميل".

لقد تناول مفدي في شعره مختلف الأمكنة في الجزائر ، وقد اكتفينا بتسليط الضوء على المكان الصحراوي في إلياذة الجزائر لطبيعة بحثنا، ورغم الصبغة الثورية المعروفة في قصائد الشاعر ، إلا أنه أبان في الإلياذة ذلك الحس الجمالي الرائع والقدرة الكبيرة في توظيف المكان الصحراوي تحت مظلة المرجعية الجزائرية ببعديها الديني والتاريخي.

الخاتمـــة:

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 127–139 تاريخ النشر: 04–06–2025
Date of Publication: 04-06-2025 pages: 127-139 Year: 2025 N°: 01 Volume: 39

سعى معظم الشعراء الجزائريين بشتى الآليات والأساليب إلى الكشف عن الوجه الجمالي للمكان في الجزائر، سواء ما تعلق بالمادي الجغرافي أو المعنوي العميق، فالشاعر محمد العيد آل خليفة تناول تلك الأمكنة ذات الدلالة التاريخية بشكل مستفيض، أما الشاعر أحمد سحنون فقد تطرق إلى كثير من الثيمات، خاصة بعض العادات المتأصلة في المجتمع الجزائري، في حين وظف الشاعر مفدي زكريا المكان الصحراوي توظيفا لافتا، برز من خلاله الجمال الطبيعي من زاوية، والمرجعية الجزائرية ببعديها الديني والتاريخي من زاوية أخرى.

-كانت لكل شاعر بصمته الخاصة في الخوض في الخطاب السياحي؛ حيث تجسّدت بالخصوص صورة المكونات المكانية المشرقة في أبعاد اجتماعية واقتصادية وجمالية.

-تبرز في مختلف القصائد المتناولة قوة العلاقة المتزنة الموجودة بين المبنى والمعنى في الشعر الجزائري الحديث، الذي ينم عن ثقافة الكتابة وآلياتها الحاضنة للقديم والجديد على حد سواء، مما ساهم في متانة القصائد المحتفية بالمكان، كما ساهم في الكشف عن الرموز العميقة والأبعاد المختلفة خاصة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية وعلاقتها بالمكان السياحي في الأدب، وكيفية اعتماده من قبل مجموعة من الشعراء الجزائريون الذين حملوا على عاتقهم التعريف بالجزائر مكانا سياحيا وثقافة خالدة وتاريخا وحضارة عريقة.

- حضور المكان المفتوح كان بارزا في الأعمال الشعرية على حساب المكان المغلق، قد يعود هذا إلى حالة الشاعر النفسية من جهة، وسحر الطبيعة الجزائرية وشساعتها من جهة أخرى، والتي تعتبر جوهر الأدب السياحي الذي يبحث في إبراز المكان وإيجابياته الطبيعية التي تؤثر في الآخر وتعمل على استقطابه، وبذلك تتوطد علاقة الأدب بالواقع في علاقة جدلية يخدم فيها الطرف الواحد الآخر بالضرورة.

قائمة المصادر والمراجع

أحمد سحنون. (2007). ديوان أحمد سحنون (المجلد 2). الجزائر: منشورات الحبر، تعاونية عيسات إيدير.

Aḥmad Saḥnūn.(2007) Dīwān al-Shaykh Aḥmad Saḥnūn, , al-Jazā’ir, ṭ2: Manshūrāt al-Ḥibr, ta‘āwunīyah ‘ysāt iydyr.

اعتدال عثمان. (1988). إضاءة النص. لبنان: دار الحداثة.

I‘tidāl ‘Uthmān.(1988) Iḍā’ah al-naṣṣ, Dār al-ḥadāthah, Lubnān, Ṭ1: Dār al-ḥadāthah

الديلمي سمير علي. (1998). المكان في النص المسرحي. الأردن: دار الكندي.

al-Daylamī Samīr ‘Alī (1998)al-makān fī al-naṣṣ al-masraḥī , al-Urdun: Dār al-Kindī,.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 127–139 تاريخ النشر: 04–06–2025
Date of Publication: 04-06-2025 pages: 127-139 Year: 2025 N°: 01 Volume: 39

تحريشي محمد. (2014). النص والنصية في الرواية الصحراوية رواية وراء السحاب...قليلا لإبراهيم الدرغوثي أنموذجا. المنستير، تونس.

Taḥrīshī Muḥammad . (2014)al-naṣṣ wālnṣyh fī al-riwāyah al-ṣaḥrāwīyah riwāyah warā’ al-Saḥāb ... qalīlan li-Ibrāhīm aldrghwthy anwdhjā almnstyrtwns.

جمال بدران. (1993). الأدب السياحي. القاهرة: دار المعارف.

محمد العيد آل خليفة. (2010). ديوان محمد العيد آل خليفة. عين مليلة، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

Muḥammad al-‘Īd Āl Khalīfah (2010) Dīwān Muḥammad al-‘Īd Āl Khalīfah, ‘Ayn Malīlah, al-Jazā’ir: Dār al-Hudá lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī.

مفدي زكريا. (1987). إلياذة الجزائر. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

Mufdī Zakarīyā .(1987) Ilyādhat al-Jazā’ir, , al-Jazā’ir, 1987: al-Mu’assasah al-Waṭanīyah lil-Kitāb

مفدي زكريا. (2007). اللهيب المقدس. وحدة الرغاية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

Mufdī Zakarīyā.(2007) al-lahab al-Muqaddas, , Waḥdat al-Raghāyah, al-Jazā’ir,: al-Mu’assasah al-Waṭanīyah lil-Funūn al-Maṭba‘īyah.

نقولا ميشال فتوش. (1999). السياحة نهر الأفكار (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.

Niqūlā Mīshāl Fattūsh . (1999)al-Siyāḥah Nahr al-afkār,. Bayrūt, Lubnān, Ṭ1: Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn.

هالة محمد عبد العال. (2018). المرأة والثقافة بحث تحليلي في العوامل المؤثرة في تكوين شخصية المرأة العربية. القاهرة: المكتب العربي للمعراف.